

في البقاع الشمالي - الهرمل... شعبٌ يتقن صوغ النصر



أبناء هذه الأرض ولا نخشى الوجود العسكري لحزب الله وباقي الأحزاب الوطنية التي تدافع عن الحدود. لا بل على العكس، نحن نمنحهم ثقتنا ودعمنا. وأحب أن أشير إلى أن الانقسام الذي عشناه في وطننا خلال الصراعات الأهلية، لم يصل إلى منطقتنا ولم يلبغ علاقات المحبة بين قرانا. الأديان بريئة من الصراعات. ومن يقتل الأبرياء باسم الدين أجزم أن الدين منه براء، كل الأحزاب الوطنية في المنطقة موجودة لحماية القاع والقرى. وفي تشرين حصل تسلسل إلى مزارع القاع، وكان أبناء الهرمل وشباب حزب الله موجودون إلى جانب أبناء القاع لصّد هذا الهجوم. هذه هي الصورة الحقيقية للمنطقة وستبقى كذلك على الدوام».

هل يعتبر الأب نصر الله أن عرسال محتلة؟ يجيب: «نحن نعرف أهالي عرسال جيدا، هم يعيشون معنا وبيننا وفي مدارسنا منذ زمن، وأنا كنت أزور عرسال ليلًا ولا أخشى شيئًا. أهالي عرسال مغلوب على أمرهم، والأعداد الكبيرة من المسلحين والإرهابيين في بلدتهم تصادر قرارهم وإرادتهم، جميعنا نعرف كم قدمت عرسال من شهداء لهذا الوطن، وهي اليوم تحتاج لأن تعود إلى حضن هذا الوطن».

قلعة الصمود والتحدّي

ندخل إلى قلب الوطن من بوابة الصمود الآتي، في قرية النبي عثمان - قلعة الصمود والتحدّي كما تُعرف لدى الكبير والصغير - ورشة عمل نسائية بامتياز. فكما باقي قرى البقاع، اجتمعت نساء النبي عثمان ليشحنن الهمم، ويحضرن الطعام للشباب المرابطين في الجرد، ونحن زرنا البقاع قبيل حلول شهر الصوم بأيام معدودة، لكن هذه الورشة ستستمر بحسب النساء الماجدات طالما اقتضى الأمر منهن ذلك. من كل الأحزاب آتين، محجبات وغير محجبات، كلهن يشترن عن السواعد السمراء، لتحضير وجبات غذائية لرجال الله في الميدان.

لا يختلف النض في النبي عثمان ومحيطها. ولسان حال الأهالي نفسه. هم يجزمون أن كل القرى المحاذية لضجيج المعركة تستعد ليوم الحسم والنصر، ولا يفرقها أي بيان سياسي مشبوه أو مرتين للإستعمار القديم الجديد.

لا تخشى حوراء حسن (7 سنوات)، من التكفيريين. فهي تلق بمن يحمي القرية وتقول بكل براءة: «لا أخاف من أحد بوجود المقاومة وشبابها، وأنا أحب شباب حزب الله وباقي أحزاب المقاومة لأنهم يحمونا. ولن نترك قريتنا مهما حصل، وأنا أحب أن أزور شباب المقاومة في الجرد، وحين يحرونها سنزورهم».

طي: التخاذل يخدم العدو

من جهته، يؤكد خليل طي (حركة أمل) أن ما يحصل لم يكن في الحسبان قبل الأزمة التي تعيشها سورية ويقول: «لكن تم توقع أن نصل إلى هذه المرحلة، وهذه الجماعات التكفيرية خطر حقيقي على المنطقة بكاملها. لكن بوجود المقاومة والجيش اللبناني لا نخشاهم. نحن في حركة أمل نشارك كل الأحزاب الوطنية في حراسة القرى والقتال ضد كل من يفكر بالاعتداء على أراضنا. وكوني ابن حركة أمل، أتوجه برسالة إلى كل إنسان شريف، أدعوه فيها إلى دعم المقاومة والجيش اللبناني حتى تحقيق النصر. فهذه المعركة معركة الجميع، ومن يتخاذل اليوم إنما هو يخدم العدو الإسرائيلي وعملاءه»، وفي ذلك خباثة فاضحة للوطن».

الحجيري: نحن بين أهلنا

حماسة الشباب محمد الحجيري حقتنا على الإصغاء. فهو آزاد وبالصار التعبير عن رايه بالحوادث التي تعيشها المنطقة. ويعفوية قال: «أبي في العمل، ولكنني أستطيع أن أجيبكم على أسئلتكم وكأنه موجود، نحن تركنا عرسال لأن الحياة أصبحت صعبة هناك. فقد وصلنا إلى مرحلة لا يمكن لأي أحد أن يخرج من منزله، بيتنا تعرض للقصف أكثر من مرة، واطن أن المسلحين دخلوه بعد خروجنا منه، أنا أتمنى أن يأتي أعماي جميعهم إلى هنا ويعيشوا معنا بين أهلنا وناسنا في النبي عثمان. وبوجود الجيش وحزب الله لا نخشى شيئًا ولا أحدًا، ونحن على ثقة بأنهم سيموننا من الجماعات التكفيرية وسيقتلونهم».

الأهالي

زينب نزهة، لا تخاف من المعركة الدائرة، وتجيّب بكل ثقة: «لا شيء نخشاه، ومن تمكن من هزيمة إسرائيل سيحقق النصر اليوم على الجماعات الإرهابية المنتفزة الجرمية. والمقاومة والجيش ضامنا للوحد، وإذا اقتضى الأمر أن نحمل السلاح سنحمله ونقلنا إلى جانب الشباب، ولن نترك قرانا مهما حصل». الذي يحمل الجنسية الألمانية إلى أما شادي نزهة، الذي يحمل الجنسية الألمانية إلى جانب جنسيته اللبنانية، فيؤكد أنه باق في النبي عثمان مهما حصل. ويتوجه إلى كل السياسيين الذين يحتلون المنابر ليهاجموا المقاومة بالقول: «الامر الأخير الذي نفكر به هو داعش وأمثاله لأننا لا نخشاهم، إنما عتبنا على السياسيين الذين يحتلون المنابر للتخريض على المقاومة وشعبها، لقد تناسوا كيف تعرضت قرانا للقصف وتناسوا السيارات المفخخة وكل الشهداء الذين سقطوا والجرحى، كل ما حصل هنا لا يعينهم، وجعل تركيزهم على ذهاب المقاومة إلى الجرد، هذه المقاومة قصدت الجرد لتحمي الوطن وتردع الموت القادم بريبات التكفير والتطرف وقطع الرؤوس ويقر البطون واكل الكباد. في أميركا وأوروبا يخشون الإرهاب الموجود في الشرق الأوسط، ونحن هنا على قاب خطوة واحدة من الإرهاب لا يحق لنا الدفاع عن أنفسنا والتصدي له. كل من يقول أن المعركة ليست معركةنا هو صاحب فكر خليجي أو أميركي ملكي ولا يحق له الكلام باسمنا، من يرسل أولاده إلى الخارج للاستحجام ويجلس في المنازل الفخمة تحت جهاز التبريد، ليس مثل أهالي النبي عثمان والعين والفاكهة والقاع ورأس بعلبك وكل القرى المواجهة، فليأت هؤلاء إلى هنا ويعتدّ سنرى ماذا سيفعلون».

أما عن النزوح السوري فيقول شادي نزهة: «سأخبرك أمرا قبل أن أتحدث عن النازحين السوريين. أنا لبناني، وفي الوقت نفسه مواطن ألماني، إذ ذهبت إلى ألمانيا كلاجئ. كنت أقيم ضمن نطاق تحذره الدولة الألمانية ولم أتخطأ، لا بل احترمت القوانين. ما يحصل هنا أن جزءا كبيرا من النازحين صار يقاسمنا إن لم نقل يأخذ القسم الأكبر من لقمه عيشنا. والمطلوب من دولتنا تصحيح هذا الخلل، لكن منذ البداية كان النزوح بلا حسيب أو رقيب. لا أنكر أن هناك من هرب رغما عنه من جزء الحرب الدائرة، ولكن هناك جزءا لا يُستهان به منهم خان بلده. وهذا رأيي الشخصي، ومن يخون بلده لا يمكن أن أشعر بالأماني قربة».

ويعتبر نزهة أن الإعلام يتبع لأهواء من يؤمله وسياسته، وعن ذلك يقول: «الإعلام لم ينصف المنطقة كما يجب، هناك جزء كبير من وسائل الإعلام تصر على تصوير عرسال وكأنها الضحية الوحيدة في المنطقة. وهنا أحب أن أشير إلى أن مستلزمات عرسال المعيشية والإنمائية تم من هذه القرى التي تتجول فيها. ولو كانت الصورة معكوسة لكانت عرسال قطعنا علينا طريق الخدمات والماء والكهرباء. لأن فيها بيئة حاضنة للمسلحين. وهذا الأمر سمعناه على المنابر وفي وسائل إعلامية». ويتأكد نزهة أنه جاهز للمعركة إلى جانب المقاومين إذا ما اقتضى الأمر ذلك، فيقول: «حين نشعر أن الخطر أصبح وشيكًا سنكون مستعدين له، وسنحمل السلاح إلى جانب المقاومة والجيش، ولن نلتفت إلى ما يروّجه

بلدة رأس بعلبك وامتداد البقاع الشمالي... وفي الإطار القصير تعود إلى الحياة



شادي نزهة



زينب نزهة



محمد الحجيري



حوراء حسن

الموجودة هنا، وهي معنية بكل تفاصيل المعركة كما منفذتي العاصي والبقاع الشمالي. في النهاية نحن حزب موجود وهناك تنسيق تام بيننا وبين حزب الله الموجود في الجبهة بشكل مباشر. وأيضاً يتم التنسيق مع الجيش اللبناني الذي يلعب دوراً أساسياً في مواجهة الإرهاب. وهناك وجود لباقي الأحزاب الوطنية كل بحسب قدراته وإمكانياته، والجميع جاهزون للحسم».

حوض العاصي

تنطلق من الهرمل إلى قرى حوض العاصي والقصير، وقبيل عبورنا نسال عن الورشة القائمة، فجيئنا أحد المواطنين المعنيين: «ما ترونه من أعمال حفريات وتعديدات يدخل ضمن إطار مشروع خط توتر كهربائي ينطلق من محطة تحويل الهرمل بقيمة 800 ألف دولار لتستفيد منه بلدة القاع التي تعاني من نقص في هذا القطاع. وهي من قرى المواجهة، إضافة إلى مشروع كبير تقوم به شركة KVA بتوجيهات من مؤسسة كهرباء لبنان ومديرها العام مدير كمال حايك من محطة تحويل اللبوة حتى رأس بعلبك لتستفيد منه كل القرى المحيطة ومنها عرسال والجديدة وزيبود والفاكهة. ومشروع مرافق أيضاً ستستفيد منه مزارع القاع ومدخل الهرمل والشواغير».

في الطريق إلى قرى حوض العاصي، يصعب إختصار المشهد بلقطة مصورة. قبل سنتين كانت هذه القرى في مهبط المعركة ولكن عزيمة أهل الأرض حققت النصر. وقبل أن نصل إلى ريلته، كانت لنا وقفة في منفذتي العاصي في «القومى»، ليستعرض لنا ناظر التدريب حسين الهق الوضغ بشكل سريع فيقول: «المتطرفون موجودون اليوم في جرد القرى الممتدة من رأس بعلبك إلى القاع ومزارعها، والفروض أن تكون الدولة جاهزة للتصدي لهم. وفي حال غابت الدولة، فإن أهالي هذه القرى سيحمون قراهم. أما هنا وضمن الأراضي السورية، هناك وجود للجان الشعبية والجيش السوري والمقاومة اللبنانية والحزب السوري القومي والجميع حاضرون للمواجهة. هذه المجموعات تحاول أن تعود إلى القصير ومنطقة جوسية ولكنهن تتمكن من ذلك الخوف لم يعد عاملاً فاعلاً. اليوم بعد تحرير القصير ومحيطها، الناس متمسكون بالبقاء حتى تحقيق النصر. لا أتكلم بصعوبة المعركة الدائرة الآن إذ إن طبيعة الجرد قاسية لمن لا يعرفها، ولكن إرادة المقاومة أقوى».

وعن الفرق بين «داعش» و«جبهة النصرة»، يقول الهق: «داعش من جنسيات مختلفة أجنبية وعربية، ولديه قدرات عسكرية وقائية كبيرة، ويتفوق على النصرة من الناحية الإجرامية، كما أن عناصره صاروا يعرفون طبيعة الجرد وخفاياها، إنها معركة وجود. وفي النهاية من يملك الحق سيحقق النصر ونحن أصحاب الأرض والحق».

القصير والطريق إلى حمص

حين تدخل إلى قلب الجرح النازف، لا يسع إلا أن تتحسس نبض من امتزجت دماؤه بالتراب، وتدرك أن ما تنقله الصور المتلفزة جزء صغير من حجم الهجمة الكونية على بلاد الشام. لكن الحياة تتفوق على مشاهد الدمار. فالمزارعون يحصدون سنابلهم ويودعونها للبائدر، وينتظرون موسم قطاف المشمش والزيتون، والنظام الذي يستهدفه العالم بأسره باسم الحرية، يعيد تعبيد الطرقات ويمد يده للناس كي ينقصوا غبار الحرب العنيفة عن بقايا منازلهم المهشمة. بين أزقة القصير، نلمح الكثير وتقرب من صور الشهداء المنتشرة في كل جانب. فندرك أن الوطن الذي بُنيت مع كل زهرة بزينة شهداء لن تهزه أموال النفط المتأمركة ولن يهزمه هذا الرتل المتصهين. نعود أدرأجنا إلى الهرمل وما بعدها، وفي الجبال صورة لما قد يبوح به بإسمين الشام لحظة الحسم. ودعاء بأن تلتفج جرد البقاع الشمالي رتل الطارئين معلنة النصر.

تصوير: محمد أبو سالم



أشغال إنمائية في الهرمل



في النبي عثمان... تحضير وجبات غذائية للمقاومين